

سياسة المحتشدات في عزل الشعب الجزائري عن الثورة

محتشد زريديب بالأبيض سيدي الشيخ أنموذجا
(1959 - 1962 م)

Camps to isolate the Algerian people from the revolution

A model of the Zreidib camp in El Abiodh Sidi Cheikh

(1959 - 1962)



أ/ عبد الكريم بحوصي

طالب دكتوراه

مخبر الدراسات التاريخية المعاصرة،

المدرسة العليا للأساتذة بوزريعة - الجزائر -

الملخص:

اخترع الجيش الفرنسي في الجزائر خلال الثورة التحريرية سياسة المحتشدات، و التي كان يقيمها في فيافي خالية لحشر المناضلين الجزائريين الذين لم تثبت لديهم أي شبهة لقتلهم بصورة تدريجية، وكانت هذه المحتشدات تضم كل أصناف الجزائريين، من نساء و رجال و أطفال و شيوخ، و كانت الغاية هي فصل الشعب عن المجاهدين، حتى لا يجدوا المأوى و الطعام ولا المساعدات الضرورية للقيام بالهجمات ضد العدو، و توسعت هذه السياسة لتشمل مختلف ربوع الوطن، فكان في كل ناحية من الجزائر محتشد، و محتشد زريديب ليس إلا واحدا من هذه السجون المفتوحة أو كما سماه الضابط الفرنسي لابورتاي "محتشد الموت"

الكلمات المفتاحية: الثورة - زريديب - محتشدات - محتشد

Abstract

During the liberation revolution, the French army in Algeria invented the policy of the camps, which it was setting up in an empty field to crowd the Algerian militants who did not prove to have any suspicion of killing them gradually, and these camps included all kinds of Algerians, women, men, children and elderly, and they were The goal is to separate the people from the Mujahideen, so that they do not find shelter, food, or the necessary aid to carry out attacks against the enemy.

Keywords: revolution - Zreideb - camps- camp

مقدمة:

منذ بداية الاحتلال الفرنسي للجزائر سنة 1830 شرعت فرنسا في تطبيق سياسة استعمارية تهدف إلى السيطرة الشاملة على الشعب و الثروات و الموارد، و سخرت في ذلك إمكانيات مادية و بشرية معتبرة ولاشك أن فكرة حصر الشعب في مناطق محددة من أجل إحكام القبضة عليه كانت منذ البداية وأخذت تتطور بمرور الزمن حتى تبلورت في شكل محتشدات.

ثم إن المتتبع لتاريخ السياسة الاستعمارية الفرنسية في الجزائر يلاحظ أن خطة فرنسا في تحجيم دور الشعب و فصله عن أوجه المقاومة كانت واضحة رغم تعدد التسميات، فتارة أخذت اسم " الزمالة " وتارة "القرى الفلاحية" و تارة " الحصر " ثم " المحتشدات " ⁽¹⁾، و بالرغم من تعدد التسميات، و تنوع الأساليب إلا أن الهدف بقي واحدا وهو تفتيت وحدة الشعب الجزائري و إضعاف قدرته على المقاومة.

1. المحتشدات أثناء للثورة التحريرية (1954-1962):

بعد اندلاع الثورة الجزائرية 01 نوفمبر 1954 و تنامي العمليات العسكرية و الفدائية ضد قوات الاحتلال الفرنسي، عمدت فرنسا لتركيز قوتها العسكرية من أجل إخماد الثورة، غير أن معظم محاولاتها باءت بالفشل، في ظل تزايد عنفوان الثورة و شموليتها لكافة التراب الجزائري، معتمدة في استمراريته على قاعدة شعبية متينة، شكلت الوقود الحقيقي للثورة.

أدرك الاحتلال الفرنسي أن استمرارية الثورة نابعة من صميم الدعم الشعبي، فلجأ إلى سياسة أكثر صرامة من ذي قبل أطلق عليها المحتشدات " les camps " و هي أماكن يجمع فيها السكان بعد

تاريخ الإرسال: 2022/06/02

تاريخ القبول: 2022/06/06

تاريخ النشر: 2022/06/29

ترحيلهم من قراهم و مداشرهم، تحاط بأسلاك شائكة و تقام حولها أبراج للمراقبة، يسهر على مراقبتها فرق من القومية بإشراف الجيش الفرنسي، ليلا و نهاراً.

أخذت عملية تجميع السكان و ترحيلهم تأخذ منحاً متصاعداً بداية من سنة 1955، و بإشراف عسكري مباشر إذ لم تكد تأتي سنة 1959 حتى بلغ عدد المحتشدات في الجزائر حوالي 936 محتشداً⁽²⁾ ثم استمرت العملية إلى غاية سنة 1962، حيث بلغ عدد المحتشدات ما يفوق 2600 محتشد، ضمت ما يقارب ثلاثة مليون جزائري⁽³⁾.

كانت فرنسا تدعي من خلال هذه العملية ظاهرياً أنها تسعى إلى حماية الشعب الجزائري والإشراف على الإمدادات الغذائية و الطبية للجزائريين، في حين كانت تهدف ضمناً إلى عزل الشعب عن الثورة ومراقبته مراقبة حثيثة، فضلاً عن تعذيبه نفسياً و معنوياً ومادياً، إذ شكلت في الأخير المحتشدات مراكز للموت البطيء⁽⁴⁾.

و للموضوعية فستطرق لأوضاع أحد المحتشدات بالجنوب الغربي للجزائر، بمنطقة الأبيض سيدي الشيخ و هذه المرة إلى جانب الروايات الشفوية، سنركز كذلك على ما أورده أحد الضباط الفرنسيين خلال تواجده بهذا المحتشد لمدة شهر كامل من 12 نوفمبر 1960 إلى 12 ديسمبر من نفس السنة، و ذلك في ضوء الكتاب الموسوم بـ: "رسائل من الصحراء (1960-1962) Lettres du Sahara" للضابط "René de Laportalière".

2. محتشد زريديب بالأبيض سيدي الشيخ (1959-1962):

تقع مدينة الأبيض سيدي الشيخ إلى الجنوب من ولاية البيض (Géryville)⁽⁵⁾ - كما كانت تسمى قبل 1962- على مسافة 120 كلم، عرفت منطقة "حاسي الأبيض" تجمعاً سكانياً في حدود القرن 17 م حيث استقر بها العالم المتصوف "عبد القادر بن محمد" و أسس زاويته الشهيرة، والتي أصبحت تسمى بعد استقرار الشيخ بها و تجمع المريدين حوله بالأبيض سيدي الشيخ⁽⁶⁾.

عرفت منطقة الأبيض سيدي الشيخ و المناطق المجاورة لها مقاومات شعبية عنيفة جداً ضد الاستعمار الفرنسي، تحت قيادة أحفاد سيدي الشيخ امتدت من 1864م إلى غاية 1909م، بداية بمعركة عين بوبكر أفريل 1864 م بقيادة "سليمان بن حمزة ثم "سي لعلا بن بوبكر"، مروراً بثورة "محمد بن حمزة في فبراير 1865، ثم معركة الشلالة القبليّة يوم 07 أفريل 1865 م بقيادة "السي أحمد"، مروراً بمعركة ابن

تاريخ الإرسال: 2022/06/02

تاريخ القبول: 2022/06/06

تاريخ النشر: 2022/06/29

خطاب في 16 مارس 1866 م، وصولاً إلى سلسلة من المعارك الضارية بقيادة "قدور بن حمزة" في الفترة الممتدة ما بين 1868 م إلى غاية 1897 م، نهاية بمقاومة الشيخ بوعمامة إلى غاية 1909 م⁽⁷⁾.

بعد أن أدركت فرنسا خطورة المنطقة و عنفوانها و عدائها المستمر ضد جيش الاحتلال، حاولت إخضاعها بشتى الطرق، فما لبثت أن أسست سنة 1933 م مركزاً للمنصرين بقيادة "روني فوايوم" وغيره من المستشرقين و المسيحيين من أجل دراسة المنطقة بشكل شامل، و لعل من أشهر المستشرقين الذين عاشوا في المنطقة جارديه لويس Gardet Louis، و روتايلو Retaillieu و الذين كانت لهم اهتمامات بدراسة التصوف و أثره في بعث النزعة الجهادية في المنطقة⁽⁸⁾.

كانت لهذا المركز بالإضافة إلى نشاطه التنصيري في المنطقة، مهاماً متعددة، أهمها إعداد التقارير ومراقبة المنطقة و تحركات المناوئة لفرنسا، و استمر هذا المركز في الوجود حتى بعد الاستقلال، ولعل هذا ما حث فرنسا على إن شاء محتشد يعزل الشعب عن قيادته الروحية و يقطع سبل تواصله مع أي نشاط مقاوم في المنطقة، و في هذا السياق أنشأت فرنسا محتشد "الزريديب" أثناء الثورة التحريرية.

أ. الموقع الجغرافي:

تقع منطقة زريديب على بعد 4 كلم من مركز مدينة الأبيض سيدي الشيخ، و التي أقامت بها فرنسا في حدود سنة 1958 محتشداً ضم ما يزيد عن 4000 نسمة من رجال و نساء و أطفال وحيواناتهم محاطين بخطين من الأسلاك الشائكة⁽⁹⁾.

حيث قامت فرنسا بتجميع البدو الرحل في خطوط متوازية من الخيم المرقمة متباعدة عن بعضها البعض وتتوسطها قاعدة عسكرية فرنسية على مساحة 10 هكتار⁽¹⁰⁾ من أجل التفتيش و المراقبة المستمرة.



صورة لمحتشد زريديب سنة 1959

ب. الأوضاع الاجتماعية:

كانت الأوضاع في هذا المحتشد مزرية جداً لغاية أن الضابط الفرنسي "روني لابورتاي" وصفها على أنها "خيمات الموت"، إذ يقول في وصف ذلك "لقد وجدنا هياكل عظمية للأطفال ماتوا من الجوع، عندما تغادر شاحنتنا لترمي القمامة نرى أسراباً من الأطفال من سن واحد سنة إلى سن ستة عشر سنة يندفعون لجمع بعض الطعام، و النتيجة: الإصابة بمرض اليرقان⁽¹¹⁾، و في الخيام أطفال دون أي شيء على ظهورهم سوى بعض الخرق البالية، و يسعلون حتى الموت".⁽¹²⁾

هذه المشاهد التي يصورها لنا الضابط الفرنسي ليست سوى عينات بسيطة عن حجم المعاناة التي كان يعانيها الشعب الجزائري داخل المحتشدات، ففي ظل العزلة المطلقة و الحصار، كانت المحتشدات تفتقر لأدنى مقومات الحياة، حشر فيها أطفال و نساء أبرياء، قضوا حتفهم تحت رحمة البرد القارص والجوع، فضلاً عن الأمراض و الأوبئة.

ج. الإجراءات اليومية:

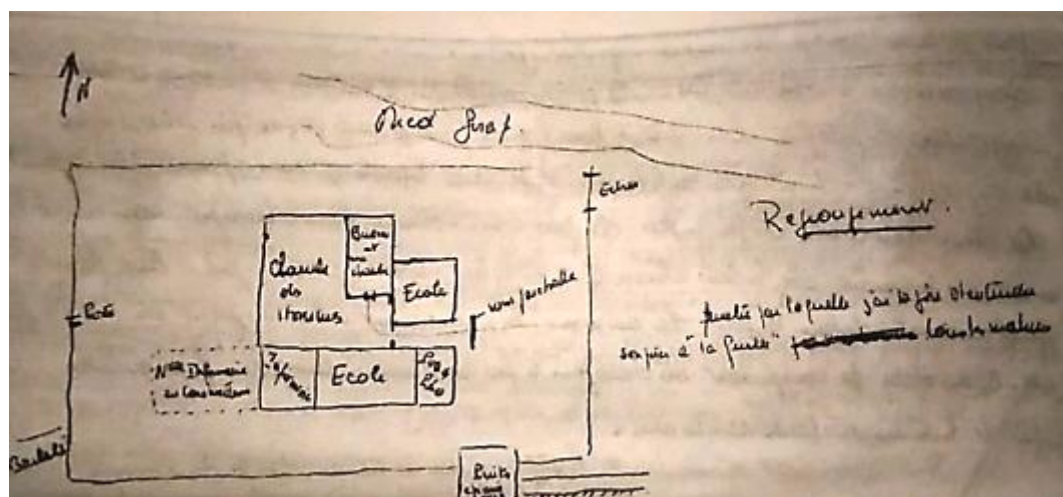
لقد كان محتشد زريديب خاضعاً للسلطة العسكرية الفرنسية بشكل مباشر، إذ يذكر في هذا الصدد الضابط "روني" في كتابه: "لقد كنا عشرون ضابطاً نتمركز في وسط التجمع، و مهمتنا هي مراقبة وحراسة المحتشد عبر دوريات ليلاً و نهاراً، و تفحص كل ما يدخل و يخرج من بضائع و أناس و حيوانات و لك أن تتخيل ألف حيوان مع رعاتهم في صف واحد يقفون لساعتين كاملتين دون طعام، في هذه الأيام القصيرة (17 نوفمبر 1960 على الساعة 14:00)، لقد كان علينا أن ننجز هذه المهمة بالتوازي مع مهمة أخرى و هي إحصاء السكان قبل نهاية الشهر"⁽¹³⁾

وكان من الضروري على الجنود الفرنسيين طلاء الأسلاك الشائكة باللون الأبيض حتى تبدو واضحة للطائرات و المروحيات التي تحلق حول المحتشد، فضلاً عن كتابة حروف و أرقام كبيرة وواضحة أمام كل خيمة، و ذلك لاستقبال القائد الفرنسي "راي" الذي ألقى خطاباً حول عظمة فرنسا لأناس يموتون من الجوع بسببها⁽¹⁴⁾.



صورة لمختشد زريديب 1960

و في هذا الصدد يقول " لابورتاي " : " في برنامج عملي كنت أسعى قبل نهاية السنة إلى إنشاء بقالة لتوزيع المواد الغذائية، والتي كان على السكان الخروج لمسافة 2 كلم من أجل الحصول عليها و التي شكلت فرصة للتواصل مع من هم خارج المحتشد " (15)



مخطط لتنظيم محتشد زريديب ، تصميم الضابط " روني لاورتاي" 27 نوفمبر 1960

تاريخ الإرسال: 2022/06/02

تاريخ القبول: 2022/06/06

تاريخ النشر: 2022/06/29

لم تتوقف السياسة الاستعمارية عن استغلال كل العوامل التي تحول دون تواصل الشعب بالثورة حتى الحيوانات، فقد شكلت الكلاب التي كانت تحوم حول المحتشد، عامل تنبيه مشترك للجنود الفرنسيين من جهة و للمجاهدين من جهة أخرى، يقول لابورتاي: " في هذه اللحظة بالذات بدأت كلاب الدوار تنبح عندما لم نخرج نحن ، لقد كان "الفلاقة (16)" هم الذين نزلوا من الجبال ليلاً. إنه التعايش المسلح ، النباح عميل مخبراتي ثمين ، أرفع ترددهم لمحاولة تحديد أوقات دخول وخروج المتمردين ونصب الكمائن وفقاً لذلك". (17)

لقد كانت علاقة الجزائريين المسجونين في المحتشد مع الفرنسيين و أعوانهم من الحركي و القومية علاقة سيئة، و كان السكان يعبرون عن هذا السوء بإشارات مختلفة، فقد كانت النسوة يقومون بذر التراب في الهواء عند مرور الفرنسيين، بينما يقوم الرجال بالبصق عند مرورهم، وأما الأطفال فيهربون (18)، في دلالة قاطعة على مدى وحشية الإجراءات الفرنسية.

و الحقيقة أن هذه الإجراءات لعزل الشعب عن الثورة باءت بالفشل، فرغم تشديد الحصار بالأسلاك الشائكة و المراقبة الدائمة، و العد و الإحصاء و التضيق، إلا أن عناصر جيش التحرير الوطني كانت تتسلل إلى المحتشد و تتواصل مع الشعب بشكل مستمر.

3. انتفاضة محتشد زريديب 08 جانفي 1960:

بعد أن أعلنت السلطات الفرنسية عن إقامة استفتاء لتقرير المصير في خطاب "شارل ديغول" بتاريخ 16 سبتمبر 1959، أخذت السلطات الاستعمارية في حث الجزائريين على المشاركة في الاستفتاء والذي قوبل من طرف جبهة التحرير الوطني بالرفض، و سعت إلى إفشاله، في هذا الإطار تسلل أفراد من جيش التحرير الوطني إلى المحتشد من أجل إثارة العصيان المدني داخل المحتشد، و يقول في هذا الصدد المجاهد المرحوم "خلوفي العربي": "كنت أنا برفقة بع ض المجاهدين المسؤولين عن العصيان المدني ضد التصويت و من بينهم المجاهد بلمخفي حمزة، و المجاهد بوريقي حمزة، و المجاهد بديار مُجَّد، نقوم بالدخول إلى الدوار ليلاً متوجهون إلى خيمة الشهيدة بن عيسى التالية، و التي كانت برفقة بعض النسوة منهن الشهيدة زيدروي المدعوة "الخروفة" و اللاتي كن يحضرن الأكل للمجاهدين، كما شاركن بشكل بارز في مساعدتنا لخلط أوراق الانتخابات الفرنسية" (19).

تاريخ الإرسال: 2022/06/02

تاريخ القبول: 2022/06/06

تاريخ النشر: 2022/06/29

قامت نساء بعد ذلك بتوعية كل نساء المحتشد بضرورة عدم التصويت و المشاركة في الاستفتاء، كما شارك الرجال و الأطفال في ذلك، مؤيدين موقف جبهة التحرير الوطني في مقاطعة الاستفتاء و دعما للوحدة الوطنية.

و في صبيحة الاستفتاء قامت فرنسا بجمع السكان و حشدت قواتها من أجل إجبار السكان على الاقتراع، مستهلة هذا الفعل بأحد الأعيان المدعو " بن عيسى العربي "، فاستمر الرفض في ظل استعداد شعبي من أجل التضحية، و خلال هذه الأثناء خرجت الشهيدة " بن عيسى التالية بنت عبد القادر صارخة " تحيا الجزائر " و ما لبث أن صاح كل من في المحتشد أن تحيا الجزائر وسط زغاريد، لتندفع البطلة " التالية " نحو ضابط فرنسي برتبة نقيب بقادوم فقتلته، ثم أمطرها العسكر الفرنسي بوابل من الرصاص فاستشهدت على الفور.

ويقول روني لابورتاي في كتابه " رسالة من الصحراء " في إشارة موجزة لما حدث يومها : " لقد تلقينا برقية ونحن حينها متواجدون بقاعدة البنود - حوالي 90 كلم جنوب الأبيض سيدي الشيخ، وتنقلنا إلى المنطقة على الفور، لقد كانت مأساة حقيقية، حيث قتل بطريقة غير مسؤولة ثمانية أشخاص من بينهم امرأة، إضافة إلى أزيد من 20 جريح " (20)

الخاتمة:

اخترع الجيش الفرنسي في الجزائر خلال الثورة التحريرية سياسة المحتشدات، و التي كان يقيمها في فيافي خالية لحشر المناضلين الجزائريين الذين لم تثبت لديهم أي شبهة لقتلهم بصورة تدريجية، وكانت هذه المحتشدات تضم كل أصناف الجزائريين، من نساء و رجال و أطفال و شيوخ، و كانت الغاية هي فصل الشعب عن المجاهدين، حتى لا يجدوا المأوى و الطعام ولا المساعدات الضرورية للقيام بالهجمات ضد العدو، و توسعت هذه السياسة لتشمل مختلف ربوع الوطن، فكان في كل ناحية من الجزائر محتشد، و محتشد زريديب ليس إلا واحدا من هذه السجون المفتوحة أو كما سماه الضابط الفرنسي لابورتاي "محتشد الموت".

إن السياسة الفرنسية الجهنمية في عزل الشعب عن الثورة لم تنني الشعب الجزائري عن الالتفاف حولها، بل العكس من ذلك أصبحت مركزا عملياتيا بامتياز، فقد اخترقت جبهة التحرير الوطني المحتشدات جاعلة منها مراكزا للتعليم مستغلة في ذلك المثقفين الذين كانوا يتواجدون هناك، فضلا عن

تاريخ الإرسال: 2022/06/02

تاريخ القبول: 2022/06/06

تاريخ النشر: 2022/06/29

تحفيزها للعصيان المدني محطة بذلك جميع المخططات الاستعمارية و مؤكدة على مبدأ " ألقوا بالثورة إلى الشارع يحتضنها الشعب".

الهوامش :

(¹). مقدر نور الدين: المحتشدات الفرنسية بالجزائر خلال الثورة (1955-1962)، مجلة دراسات، المجلد 7، العدد 01، 2020، ص 13.

(²). Michel Rocard: Rapport sur Les Camps de regroupements et autres Textes sur la guerre d'Algérie, édition Fayard, 2003, p 107.

(³).

Ibid. : p 234

(⁴). أحسن بومالي: مراكز الموت البطيء، وصمة عار في جبين فرنسا الاستعمارية، مجلة المصادر، العدد 8، ماي 2003، ص 41.

(⁵). F.Accardo : Tribus et Douars de L'Algérie, Alam el maarifa, Alger, 2013, p 443.

(⁶). بوبكر حمزة: صوفي جزائري سيدي الشيخ، تر: محمد حسين آل سيد الشيخ، مخطوط، ص 13.

(⁷). نفسه: ص ص 87-184.

(⁸). بن براهيم الطيب: الاستشراق الفرنسي و تعدد مهامه خاصة في الجزائر، دار المنابع، الجزائر، 2004، ص 74.

(⁹). René de Laportalière, Lettres du Sahara (1960 _ 1962), Bonnac, 2008, p13.

(¹⁰). Ibid: p13

(¹¹). اليرقان: هو اصفرار الجلد والعينين. ينتج عن وجود الكثير من البيليروبين في الدم. البيليروبين مادة صفراء مصنوعة من تكسر خلايا الدم الحمراء.

(¹²). René de Laportalière, Ibid: p13

(¹³). René de Laportalière, Ibid.: p13

(¹⁴). Ibid: p15

(¹⁵). René de Laportalière, Ibid.: p22

(¹⁶). كان هذا المصطلح يردده أعداء جبهة التحرير الوطني، و هو من المصطلحات التي كان يراد بها ذم و إظهار جيش التحرير الوطني للرأي العام الفرنسي و العالمي بمظهر كاريكاتوري همجي، حتى يرتاب الناس في شرعية الثورة، و لعل هذا اللفظ آت من الفلق و هو الشطر، أي أنهم يفلقون الرؤوس في مزاعم الفرنسيين، عبد المالك مرتاض: دليل مصطلحات الثورة التحريرية 1954-1962، منشورات المركز الوطني للدراسات و البحث في الحركة الوطنية و ثورة أول نوفمبر، المطبعة الحديثة للفنون المطبعية، الجزائر، د.ت، ص 65.

(¹⁷). René de Laportalière, Ibid.: p22

تاريخ الإرسال: 2022/06/02

تاريخ القبول: 2022/06/06

تاريخ النشر: 2022/06/29

(18). Ibid.

(19). يومية الجمهورية: السبت 01 نوفمبر 2014، ص 11، حاور المجاهد "خلوئي العربي" الصحفي بلواسع جيلالي.

(20). René de Laportalière, Ibid.: p41.